(ص ٩) . فاليهود عاشوا منذ القدم في فلسطين ولم تنقطع صلتهم بها او وجودهم فيها على مر القرون رغم تناوب الشعوب الاخرى في احتلالها من الاشوريين الى الفرس والرومان والعرب والاتراك واليوم البريطانيين (ص ٩) . رفض العرب قرار التقسيم لتعصب قادتهم من امين الحسيني الى عبدالقادر وفوزي القطب الذين كانت لهم صلات وثيقة ورحلات عدة الى المانيا النازية (ص ٥٩ + ١٠٧ + ٣٤٧) بالاضافة الى لاسامية الحكام العرب وعدم فهمهم لاهداف وقيم الحركة الصهيونية (ص ٣٠٨) . وعلى ضوء هذا الرفض قام الفلسطينيون بمقاومتهم وقتالهم ضد اليهود بمحاصرة احياء القدس اليهودية وقطع طرق التموين عليها وبعمليات هجوم وسطو على القوافل والمستعمرات. كانت شجاعتهم فائقة وبالذات كان عبدالقادر مثال المناضل الشجاع والذكي (ص ٢٧٤) الذي توفرت لديه امكانيات القيادة والتنسيق في جو كانت تتحكم فيه الفوضى واللامركزية وعدم التخطيط وانعدام العلم العسكري (ص ١٤٧ والكثير غيرها) . دافع اليهود عن انفسهم بذكاء وتخطيط ، ورغم تضحياتهم وصعوبة الحياة في القدس آنذاك ، نجحوا في ذلك ، وتوجت عملياتهم الدفاعية بمقتل عبدالقادر في معركة القسطل في مطلع نيسان ١٩٤٨، الذي ادى الى انحلال المعسكر الفلسطيني وفقدان القيادة المركزية وانتهاء مرحلة المقاومة الداخلية عمليا (ص ٢٧٦) .

كل ذلك ادى الى التدخل العربي الرسمي الذي تبلور بعد مغادرة البريطانيين لفلسطين باعلان الحرب . كانت التناقضات تنخر المعسكر العربي والمواقف العلنية الحماسية تناقض المواقف الحقيقية المساومة والمثل على ذلك موقف الملك عبدالله ورياض الصلح (٣٠٩ وما يليها) . كان الجيش الاردني هو القوة الرئيسية التي تواجه اليهود ، الا ان جون جلوب كان قد حدد له دورا في اطار مشروع التقسيم ، وذلك بتحديد رقعة عمله في القسم العربي من خارطة التقسيم وعدم تعدي القسم اليهودي اطلاقا (ص ٣٢٩) وذلك بهدف ضم هذا القسم الى المملكة الاردنية ومنع ظهور دولة يسيطر عليها المفتي (١٠٠ + ٢٠٧ + ٣٦٠ + ٤٥٤) . ورغم ذلك فقد اضطرت بعض قطاعات الجيش الاردني التدخل في القدس ومنع سقوط المدينة القديمة في أيدي الهاغانا (نهاية الكتاب) .

ويروي الكتاب بالتفصيل العمليات العسكرية والمذابح والنهب التي رافقتها من قبل كل من الطرفين . فوحشية الارغون في دير ياسين (٢٨٨ وما يليها) يقابلها « وحشية العرب » في عملية الشيخ جراح ضد قافلة هداسا (٢٩٧ — ٣٠٦) والهجوم على قوافل التموين في باب الواد (٢٣٤) والنبي دانيال (٢٤٢ — ٢٥٠) وغيرها . ونهب القطمون بعد احتلالها من قبل الصهاينة (٣٢٦) يقابله « السطو المستمر للقرويين العرب » على المستعمرات كاحتلال كفار عتسيون (٣٨٤) . الوحشية كانت اذا ، بنظر المؤلفين ، من الجانبين رغم ان هناك تحديدا في الوحشية الصهيونية بالارغون والشتيرن اكثر من الهاغانا, والبالماخ (١١٨) ، وتعميما في الوحشية العربية وخاصة لغياب القيادة التي بامكانها الحد من ردود الفعل.

خلال كل هذه الفترة كان البريطانيون يقفون سياسيا الى جانب العرب (١٥٤ + ٢١٠) وضد التقسيم ، الا ان قادتهم المحليين كانوا منقسمين بين محايدين ومناصرين لمعسكر او لاخر ، وجنودهم في الغالب كان الامر لا يعنيهم فهم يبيعون السلاح للطرفين ويخونون كلا منهما ، ولا يسعون الا الى تفادي التضحية بارواحهم في حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل . ولكن الوقائع تظهر ان العديد من المواقع الاستراتيجية سلمت للصهاينة تسليما من قبل البريطانيين حين مغادرتهم لها (٧٨ + ٢١٦) . وينتهي الكتاب بفصل عنوانه « جدار في المدينة » هذا الجدار الذي فصل نصفيها خلال عشرين عاما حتى دخول القوات الاسرائيلية الى المدينة القديمة عام ١٩٦٧ (ص ٥٨٩) ، الذي واجهه عرب القدس « بعداء مغلق » وظهر على اثر ذلك « الفدائيون على حدود فلسطين المحتلة ، وعادت القنابل الارهابية كما في عام ١٩٤٨ لتشوه شوارع المدينة وتريق الدماء في ساحة سوق وفي مقهى جامعة وفي دكان عامر بالزبائن ليلة السبت » (٥٨٩) .

وينهي المؤلفان كتابهما بهذه الكلمات : « لقد زالت الجدران والاسلاك الشائكة التي جزأت المدينة ، ولكن الحدود ما زالت قائمة في قلوب السكان . ولئلا تصبح صلاة الشعب اليهودي : (ان نسيتك